Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 3, 2024 ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد ١٤, العدد ٣ / الرقم المعياري ٢٧٠٧-٥٦٧٢

الواقعي والانثربولوجي في قصص سلمان كيوش ومروياته

أ.د. علي حسن هذيلي
مفيد عيسى عبيد
قسم اللغة العربية, كلية التربية الأساسية, جامعة سومر, ذي قار, العراق

الملخص

سلمان كيوش هو كاتب عراقي معروف بقصصه التي تمزج بين الواقع والخيال، ويتميز بنقل تجارب ومشاهد واقعية من الحياة العراقية، خاصة تلك التي تتعلق بالثقافة والعادات والتقاليد المحلية، إلى جانب استخدامه لعناصر أنثروبولوجية بشكل متقن.

الواقع في قصص كيوش يعرض من خلاله حياة الناس اليومية في العراق، بما في ذلك المعاناة، الفرح، والأحداث العادية التي تشكل واقعهم. يُظهر قصصه البيئة الاجتماعية والسياسية المحيطة بالشخصيات, ويركز على الشخصيات العادية والتفاعلات الإنسانية البسيطة، مما يضفي على قصصه بعدًا إنسانيًا عميقًا.

كذلك يستخدم كيوش التفاصيل الدقيقة لإبراز بيئة القصة، مما يجعل القراء يشعرون وكأنهم يعيشون مع الشخصيات.

الأنثروبولوجيا:

يسلط الضوء على العادات والتقاليد المحلية، مما يوفر للقارئ فهمًا أعمق للثقافة العراقية.

أيضاً يستكشف كيوش الطقوس الدينية والشعائر الشعبية، ويقدمها بواقعية تتسم بالاحترام والمعرفة العميقة.

ويدرس العلاقات الاجتماعية والديناميات بين الأفراد والجماعات في المجتمع العراقي، مما يعكس فهمًا أنثروبولوجيًا للمجتمع.

باختصار، قصص سلمان كيوش تجمع بين الواقعية الحياتية والتفاصيل الثقافية الأنثروبولوجية، مما يخلق عوالم غنية ومعقدة تعكس تجربة الحياة العراقية بصدق وعمق.

الكلمات المفتاحية: الواقع, الأنثروبولوجيا, القصص, المرويات, سلمان كيوش

Journal of the College of Education for Humanities
Volume 14, Issue 3, 2024 ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة ذي قار
المجلد ١٤, العدد ٣ / الرقم المعياري ٢٧٠٧-٥٦٧٢

The realistic and anthropological in the stories and narratives of Salman Kyush.

Prof. Ali Hassan Hadili and Mufid Issa Ubaid
Department of Arabic Language. College of Basic Education, University of Sumer, Dhi Qar Iraq

Abstract

Salman Kyoush is an Iraqi writer known for his stories that blend reality with fiction. He is distinguished by his portrayal of real-life experiences and scenes from Iraqi life, particularly those related to local culture, customs, and traditions. Additionally, he skillfully incorporates anthropological elements.

The reality in Kyoush's stories depicts the everyday life of people in Iraq, including their suffering, joy, and ordinary events that constitute their reality. His stories reflect the social and political environment surrounding his characters. He focuses on ordinary people and simple human interactions, which adds a deep human dimension to his stories.

Kyoush also uses fine details to highlight the story's environment, making readers feel as if they are living with the characters.

Anthropology:

Kyoush highlights local customs and traditions, providing readers with a deeper understanding of Iraqi culture. He also explores religious rituals and popular ceremonies, presenting them with a respect and deep knowledge. He studies social relationships and dynamics between individuals and groups in Iraqi society, reflecting an anthropological understanding of the community.

In short, Salman Kyoush's stories combine realistic life depictions with cultural and anthropological details, creating rich and complex worlds that honestly and deeply reflect the Iraqi life experience.

Keywords: Reality, Anthropology, Stories, Narratives, Salman Kyoush

مقدمة

الحمد لله والحمد حقه، كما يستحقه حمدًا كثيرًا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، أبي القاسم محمد وآله المصطفين الأخيار.

اقتضت الدراسة أن تكون طبيعة البحث مقسَّمة على مبحثين يسبقهما مستخلص يتلوه مقدمة و تمهيد وانتهى بالخاتمة, شمل المستخلص نضرة عامة وبصورة مختصرة عن البحث بمبحثيه, درسنا في المبحث الأول واقعية القصص عند كيوش, في هذا المبحث، سنتناول كيفية اختيار وتحليل بعض القصص الواقعية من أعمال الأديب سلمان كيوش، يهدف هذا المبحث إلى تسليط الضوء على اختيار القصص وتحليلها بعمق، مع التركيز على الأبعاد الاجتماعية التي تميز نصوص كيوش، مما يعكس الواقع بصورة مؤثرة ودقيقة. والذي يشير إلى الواقعية الدقيقة والتفصيلية التي يصوّرها الكتّاب في أعمالهم الأدبية. يُمثل هذا النوع من الأدب محاولة لتصوير العالم كما هو بدقة، دون تجميل أو تزييف، مما يعكس حياة البشر بمختلف جوانبها بشكل واقعي.

أما في المبحث الثاني ، نستعرض كيفية اختيار وتحليل بعض القصص من أعمال الأديب سلمان كيوش باستخدام منهجية التحليل الأنثروبولوجي, يهدف البحث إلى الكشف عن الأبعاد الثقافية والاجتماعية التي تجسدها هذه القصص، وذلك من خلال دراسة الأنماط والعادات والتقاليد التي تظهر في نصوص كيوش، مما يوفر فهماً أعمق للتراث الثقافي والتجربة الإنسانية التي يعبر عنها الكاتب.

درسنا الأنثروبولوجيا في قصص كيوش وهو يسلط الضوء على تجارب البشر وتفاعلاتهم وتطورهم عبر الزمان والمكان، مما يساعد في فهم العادات والقيم والمعتقدات المختلفة في المجتمعات المختلفة.

والمنهج الذي اتبعه الباحث في هذه الرسالة هو المنهج التحليلي الأقرب الى المنهج الاجتماعي.

فيما يخص الصعوبات التي واجهت الباحث، فهي صعوبة تحليل النصوص الأدبية يتطلب فهمًا عميقًا للغة والرموز المستخدمة، هذا يتطلب مهارات تحليلية متقدمة ومعرفة واسعة بالمجال الأدبي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

عالم الواقع: تصوير الحياة الاجتماعية تصويراً واقعياً والتعبير عنها... فالأديب مرة يصور الواقع مجرد تصوير, ومرة يستهدف بتصويره أغراضاً أخرى (خضر، ١٩٦٧) يعد تصوير الكاتب لواقع جنوب العراق تصويراً واقعياً, ينقل فيه مظلومية هذا المجتمع, ومرة ينقل فيه عاداته وتقاليده وأعرافه. فمرة نجد القاص في أعماله ساخطاً منتقداً, وفي أخرى ثائراً وداعياً لتغيير الواقع. يُعد الأدب وبكل أجناسه "التعبير الحر عن الأمة في آمالها الكبيرة, ومُثلُها من وراء التصوير الصادق لواقعها, فيما يشف عنه من إمكانيات أو يوحي به، فإنَّ النقد هو وعي الأدب الصادق الرشيد لدى الكتّاب والتفاعل على حد سواء " (هلال، ١٩٠٠)

ليس بالضرورة أنْ يصوّر لنا الكاتب الواقع كما هو, فبعض القصص الواقعية نعم شخوصها وأماكنها وزمانها وأحداثها كلها واقعية.

الواقع هو عكس الخيال أي لا يأتي بصور وقصص وحكايات لا يقبلها العقل والمنطق, أو يعالج لنا قضايا واقعية بصياغة خيالية, بل يصور لنا واقع الحياة بمأساته وأفراحه وأحزانه, يصور لنا طبيعة الحياة الاجتماعية, كما هي لكن يضيف لها صبغة فنية إبداعية كون ما ينقله الأديب يبقى جنساً أدبياً. "الأدب الواقعي هو الذي يصور الواقع الثابت ويشخص أمراض الجماعة ويكشف عن العلل الكامنة وراء الظواهر التي تخضع لسلطان العلم, وأنه لا ينبغي للأديب أنْ يقحم عواطفه الشخصية إلا في الظواهر التي يهتدي إلى تعليلها" (خضر، ١٩٦٧) حيث نجد الكاتب مرة ينقل لنا واقعاً مؤلماً يصور لنا أحداثاً واقعيةً مأساويةً سببها المجتمع, مثل بعض العادات والتقاليد والاعراف التي تحكمه, وأخرى سببها السلطة الحاكمة وتقصيرها اتجاه هذا المجتمع, ومرة يصور لنا المجتمع الجنوبي بجمال طبيعته ولهجته, وأحياناً يكتب لنا عن المطربين الجنوبيين, لولعه بهم, فكتب عن(حسين سعيدة, ومسعود عمارتلي, وجويسم كاظم, وعبادي العماري) وغيرهم الكثير صورهم تصويراً واقعياً, يقول الكاتب في مقدمة كتابه مصقولة بطعم الحنظل " لم أطرح نفسي في هذا الكتاب ناقداً موسيقياً أو مختصاً في الغناء. كنت أكتفي بالبحث عن الإنسان الجميل الذي يقف خلف هذا الإنجاز الإبداعي للمطربين الذين اخترتهم. اخترتهم لأنهم الأوضح والأكثر سطوعاً أمامي في الأقل...." (كيوش، ٢٠٢١)

تصوير الواقع من قبل القاص ليس من أجل الابداع فحسب, وإنما من أجل التقليل من معاناة المجتمع الجنوبي, حيث أن, كاتب الواقع الواعي لا ينظر إلى الإنسان على أنه صورة ترسم من أجل الإبداع الأدبي أو التسلية بل, بوصفه كائناً بشرياً يجب الدفاع عنه, ورفع الظلم والحيف عن واقعه, لإكمال سعادته في حياته, أي أنَّ القاص في كتابته للواقع يريد أنْ يطوره (خضر، ١٩٦٧) في الأدب "ليست هنالك موضوعات معينة تصلّح, وأخرى لا تصلح، والأديب يصدر عما ينفعل ويتأثر به كائنا ما كان .. سياسة كان أو اجتماعاً أو اقتصاداً أو غير ذلك، وتعبيرا عن طبقة شقية أو سعيدة، شعبية أو متوسطة أو عالية...يتناول الأديب ما شاء، حتى الزهر والقصور والحب، على أن يكون ما يكتبه موجها لصالح الإنسان وتطويره. وقد رأينا كثيراً مما كتب في الحب يستهدف أغراضا اجتماعية ووطنية" (خضر، ١٩٦٧)

مهمة الأديب عندما ينقل واقعا "ما" هي مهمة إنسانية قبل أنْ تكون أدبية؛ لأنه بنقله هذا يسلط الضوء

اعباس خضر. (١٩٦٧). *الواقعية في الأدب*. بغداد: دار الجمهورية.

د. غنيمي هلال. (١٩٠٠). *النقد الأدبي الحديث* (المجلد ط١). دار العودة.

سلمان كيوش. (٢٠١٨). *مرادي المعيل* (المجلد ط٢). بغداد: دار قناديل.

سلمان كيوش. (٢٠٢١). *مصقولة بطعم الحنظل* (المجلد ط٢). بغداد: دار قناديل.

على معاناة معينة, فكم من الروايات والقصص غيرت مجرى حياة الكثير من الناس, طريقة كتابة القصص الواقعية هي أن يلبس الكاتب ملابسه, أو يتزيا بغير زيه, ويتجول في الطرق والأزقة, ويدخل المجتمعات والمحطات, ويرقب حركات الناس في الأسواق, ويحضر المناسبات, ويبقى هائماً في الطرق يدرس الأخلاق والطبائع والعادات، وهو فيما بين تلك الأشياء يقيد ما يراه ويسمعه ويدرسه، ثم يجلس ويكتب قصته، ويسبك فيها كل ما رآه وسمعه (خضر، ١٩٦٧)

وهذا ما وجدناه عند الكاتب سلمان كيوش يقول: في كتاباته, (لجأت الى أم ساعة عند حافة الهور, وذهبت الى دائرة نفوس العمارة, واجور التكسيات في العمارة تشعر بالأمان..) (كيوش، مرادي المعيل، ٢٠١٨) وغيرها الكثير مما يدلل على حضور القاص الكبير في البيئة التي نقل واقعها, هذا غير أن الموطن الاصلي للكاتب, ومسقط رأس والده وأهله, هو جنوب العراق, إلا أنَّ هنالك أموراً أجبرت الكثير من ساكني الجنوب الى النزوح, من بينها الجفاف الذي حل بهم, والعادات والتقاليد وغيرها, أرى في قصصه حرصاً على تسمية الأشياء بدقة من شخوص وأماكن وأسماء الحيوانات والنباتات في الموطن الذي يحكي عنه, مع ذكر اللهجة, وكأنه أحد أفراد هذه البيئة, يقول في مقدمة كتابه نون الجنوب الساكنة: " لأنني انتمي اليه سلالياً, و على واحدٍ من شطوطهِ الفرعية عاش أهلي" (كيوش، نون الجنوب الساكنة، ٢٠٢٢)إنَّ من أشد القصص واقعيةً عند الكاتب هي قصة النهضة, و قصة من لا يعرف المكوث في خيمة, والمنكوب في السجن, ونْعيّم, ويحدث في چادر النسوان, وغيرها من القصص التي اثبتت واقعيتها, وسلطت الضوء على الكثير من الأمور السائدة في المجتمع والتي أراد معالجتها بطريقة أدبية رائعة.

عالم الأنثروبولوجيا: الأنثروبولوجيا "كلمة إغريقية الأصل مركبة من كلمتين (authropos) والتي تعني إنساناً، و (ipgia) والتي تعني علماً أو دراسة أو معرفة فالكلمة المركبة تعني (علم دراسة الإنسان)." (الحسني، ١٩٦٥) أما تعريفها بصورة عامة فهي "ذلك العلم الشمولي الذي يهتم بدراسة الانسان من حيث أصله, وتطوره, ونموه وتنظيماته الاجتماعية والسياسية, وديانته, ولغته, وفنونه, وصناعته." (الحسني، ١٩٦٥) أغلب الدراسات والقراءات تشير الى أنَّ الأنثروبولوجيا كعلم مستقل, ومصطلح يُعد علمٌ حديث, أما فيما يخص مجالها الذي تتناوله, وهو دراسة الانسان "والبحث في شؤون الإنسان والمجتمعات الإنسانية قديم قدم الإنسان" (الشماس، ٢٠٠٤)

أما فيما يخص أول من بحث في هذا المجال فهو المؤرخ التاريخي الرحالة الإغريقي (اليوناني) هيرودوتس, أول من صوّر عادات الشعوب, وطرح فكرة وجود التنوع فيما بينهم من حيث السلالة والثقافة واللغة والدين, لذلك يعده معظم مؤرخي الأنثروبولوجيا, الباحث الأنثروبولوجي الأول في التاريخ, فقد قام بجمع معلومات خمسين شعباً, وتناول بالتفصيل تقاليدهم, وعاداتهم, وملامحهم, وأصولهم. (الشماس، ٢٠٠٤) وبما أنَّ الأنثروبولوجيا تختص بدراسة الإنسان, فهي لا تدرس الشخص بذاته "أي أنّ الأنثروبولوجيا لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته, أو منعزل عن أبناء جنسه, وإنما تدرسه بوصفه كائناً اجتماعياً بطبعه." (الشماس، ٢٠٠٤)

تختلف طبيعة الأنثروبولوجيا من شعب الى آخر وبحسب اللغة التي تنطقها, ففي الشعوب الناطقة بالإنكليزية يسمونها (علم الإنسان وأعماله), أما في بلدان أوربا غير الناطقين بالإنكليزية يسمونها (دراسة الخصائص الجسمية للإنسان), كذلك تختلف طبيعتها بين أميركا, وبريطانيا, وإنكلترا وغيرها, يُمكن القول بأن علم الأنثروبولوجيا رغم اختلاف طبيعته بين بلد وآخر يركز اهتمامه على كائن واحد, وهو الإنسان (الشماس، ٢٠٠٤)

الهدف من هذا العلم(الأنثروبولوجيا) هو التعرف على الكائن البشري أو مجتمع ما بكل تفاصيله, , وفهم ثقافاته, وعاداته, وتقاليده, وطقوسه الدينية, وتأثير البيئة على المجتمع, فعند دراسة مجتمع في بيئة معينة, وفي عصر ما والتعرف عليه بشكل مفصل, "لذلك اهتمّ علماء الأنثروبولوجيا بهذه الثقافات؛ لكونها أحد الطرق التي ترشدنا إلى معرفة الإنسان في هذا المجتمع أو ذاك وإلى معرفة الروابط المشتركة بين هذه المجتمعات؛ لأنَّ الغرض هو معرفة هذا الإنسان." (الحسني، ١٩٦٥) وبعد مرور فترة من الزمن, سيجد الباحث في هذا المجال, اختلاف المجتمع بين الزمنين كذلك معرفة أسباب هذا التغيير, و معرفة أسباب تطور هذا المجتمع. أما أهداف التحليل الأنثروبولوجي عموماً فتختلف باختلاف المنهجيات والمدارس وثقافة الباحث المحلل، وتوجهات العالم بشأن القضايا المدروسة، واطلاع الباحث... ومتابعته للفكر الاجتماعي بكل مدارسه واتجاهاته. (دياب، ٢٠١٠) أما الغرض من دراسة علم الإنسان أو الأنثروبولوجيا, هو التعرف على التراث الإنساني على مر العصور, للتعرف على سلوكياته, وأنماط تفاعلاته اليومية في مختلف المجتمعات, وهذا يتطلب معايشة الباحث للجماعات البشرية والحياة معهم.

بما أنَّ المجتمعات متنوعة، واللغات كثيرة جداً، وتتنوع الثقافات، كذلك اختلاف البشرة بين قوم وآخرين، والتنوع البيولوجي واختلافه، أيضاً ما هو مباح عند فئة يُحرم عند الآخرون، هذه الاختلافات وغيرها الكثير، تدرسها الأنثروبولوجيا؛ لأنَّ مهمتها دراسة الإنسان, وثقافته, وأسباب اختلافه, وتطوره، كذلك يبين هذا النوع من الدراسة, النتائج التي تسببت بالاختلاف فيما بينّ المجتمعات والأقوام رغم ارتباطهم العضوي، وتشابههم في كثير من الأمور.

المبحث الأول الواقعي:

التحليل القصصي

قصة بوية العشيرة السوداء "في وضحِ النهارِ يأتي مَن يكتفي بسترِ عورتِه فقط، وفي يده عصا من خشبٍ صلبٍ, أو من حجرٍ منحوتٍ مدبّبٍ, كالذي حمله الأولون الغابرون في فجرِ الوجودِ البشريّ على الأرضِ.. يقتربُ من جدارٍ أو بابٍ. وبهدوء، يكتبُ بخطٍّ سيئٍ عادةً, وإملاءٍ أسوأ مطلوبٌ عشائريًّا.. لا يُباع ولا يُؤجّر، ويمضي بالهدوءِ نفسِه. جَذِلٌ لأنّه يمتلكُ كلَّ هذا الغضبِ العلنيّ الراعشِ تحتَ الشمسِ, وفي الهواءِ الطلقِ، آمنٌ مطمئنٌ أنَّ ليس ثمةَ مَن يعترضُ ما دام الأمرُ عشائريًّا. يكتبُ وهو متيقّنٌ أن لا قوةً يمكنُ أن تمسَّ جملتَه بسوءٍ، وأنها وُجدتْ لتبقى، وليقرأها الجميعُ." (كيوش، نون الجنوب الساكنة، ٢٠٢٢)

وقبل الانتهاء من كتابة قصته يقول لنا القاص: "سأكتبُها بعدَ أن تكلَّ يدي من الطرقِ على بابِ القضاءِ، وبعدَ اليأسِ من جدوى القانون. سأكتبُها لعلمي أنّ ما سأخسرَه في مراكزِ الشرطةِ قد يفوقُ بكثيرٍ حقّي المهضومَ. سأكتبُها حينَ أصلُ إلى اليقينِ بأنّ خصومتي مع القائمين على استردادِ الحقّ أقسى من خصومتي مع مَن لا يفهمُ الحقَّ, أو لا يحترمه من عامّةِ الناسِ. سأكتبُها لأني سمعتُ بأذنيَّ "هلاهل" الشرطةِ التي يعلو جرسُها وينخفضُ تبعًا لنوعِ النزاعِ وشدّته." (كيوش، نون الجنوب الساكنة، ٢٠٢٢)

ينقل لنا الكاتب أمراً واقعياً, وهو الأكثر قربا من حياة الناس, هو بوية العشيرة السوداء التي تخط بها الكلمات على أبواب البيوت, والتي تثبت بالدليل القاطع غياب دولة القانون والمؤسسات الدستورية, وسيادة الفوضى التي تجتاح الشارع, هذا الموضوع ما هو إلا جرس انذار بوجه الحكومة, فلا بد من وجود دولة ذات مؤسسات دستورية وقانون حفاظاً على أمن الناس واشاعة العدالة, وحفظ كرامة الناس, وتوفير الحياة الحرة الكريمة للمجتمع. يكتبُ بخطٍّ سيئٍ عادةً وإملاءٍ أسوأ فمن يعبث بأمن المجتمع هم أناس بعيدون عن العلم, وعن ثقافة السلم, وإن عقولهم أسوء من خط أيديهم, ومن يتحكم بمصير المجتمع هم هؤلاء أنفسهم الذين مثّلهم لنا القاص, وكأنهم قادمون من عصور سحيقة, لا يفقهون شيئاً, كذلك ان قوة الحكم العشائري هو الحكم الأقوى, وكما بين لنا كيوش فإنَّ السبب الرئيس في انتشار الفوضى المجتمعية, هو غياب القانون الرادع الحقيقي, لكل من يعبث بأمن الناس, بسبب عجز الدولة عن أخذ حق المظلوم ومعاقبة الظالم والمعتدي, يجعل هؤلاء يلجؤون الى عشائرهم لاسترداد حقوقهم, عبر بوية العشيرة السوداء.

في قصة "المنكوب في السجن" يبين نزوح الشروگية من مناطقهم جنوب العراق إلى المدن ذات الدرابين الضيّقة، وفي أحدى المناسبات في المنطقة, وإذا به يسمع صوت راديو يخرج منه صوت غناء, ممزوج بحزن وألم, ألا وهو صوت المطرب سلمان المنكوب يغني (أمرن بالمنازل...منازلهم خلية...أكلها وين أهلنا... تكول اكطعوا بيّه) (كيوش، نون الجنوب الساكنة، ٢٠٢٢). يقول لو لم يكن إيقاع الطبل والربابة, لما علمت أنها أغنية، فلماذا تصنمت أمي, وغدا دمعها يتساقطْ فغناءه نعيّ رجولي. أثبت فيه المنازل كائنات حية تسمع وترى وتقبل العتاب, وتبكي دماً لفراق أهلها، كذلك يقول ارتضى أهلنا بنزوحهم إلى مراكز المدينة ضيم آخر أقسى، حتى وان غابت

خيزرانة الحوشي الصلبة (كيوش، نون الجنوب الساكنة، ٢٠٢٢) يبين القاص في هذه القصة الواقع المؤلم الذي حلَ بالمجتمع الجنوبي, وهو النزوح من الريف الجنوبي الى مراكز المدن, وخاصة الى بغداد في مدينة الثورة(مدينة الصدر), مع ذكره لبعض الأسباب التي أدت بهم الى النزوح من بينها خيزرانة الحوشية التي يصفع بها كل من يخالف قوانين الشيخ, ومن لا يسمع كلامه, حتى إنْ أخذَ منه أرضه أو زرعه, عليه أنْ يطيع بصمت, وإنْ خالف يضربه الحوشي* بالخيزرانة*, هذا وغيره من الأسباب الكثيرة منها الجفاف والعادات المجتمعية الظالمة, أجبرت الكثير من العوائل الجنوبية الى النزوح, كذلك بيّن مأساة السكن في المدينة, ومنها الشوارع الضيقة جداً, بعد أن كانوا في الريف الذي يتميز بسعة ديارهم وامتداد أراضيهم ووفرة المياه...الخ.

بيّن عادة مجتمعية واقعية يتميز بها أهل الجنوب, وهي ثقافة الغناء, ففي كل المجتمعات يكون الغناء, في المناسبات السعيدة والأفراح, والأعياد والاعراس, وغيرها من مناسبات الفرح إلا عند الشروكية ,فغنائهم ممزوج بالحزن والآهات والبكاء والحنين الى الماضي, فهنالك تشابه بين غنائهم, وشعر ما قبل الاسلام, عندما يقفون على الاطلال, ويبكون على الديار, بعد رحيل أهلها, سلمان المنكوب يقول(أمرن بالمنازل...منازلهم خلية...أكلها وين أهلنا... تكول اكطعوا بيّه) وأمرؤ القيس يقول في مطلع معلقته(قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ...بسقط اللوى بين الدخول فحومل).فكلاهما يبكي الديار بعد رحيل ساكنيها, بحرقة وألم بعد أن أصبحت موحشة خالية من أهلها. كذلك ان هجرة بعضهم من الريف الى المدينة يشبه الى حد كبير الهجرة الى خارج بلادهم, لأسباب متشابه أيضا لخيزرانة الحوشي, فأهل الريف يهربون خوفاً من ضرب العصى, وهؤلاء يهربون خوفاً من ضربهم بالرصاص بعد تهديدهم بالقتل, فكم فقدنا من الطاقات وأصحاب الشهادات الطبية والهندسية والأدبية وغيرهم الكثير.

بقي الكاتب يسرد لنا قصصه وفي كل قصة يعالج الكثير من الأمور الواقعية التي يغفل عنها الكثير.

قصة النهضة : هنا, في هذا المكان، افترش الشبّان الأرض وناموا، لسنين طوال، بانتظار السيارات التي تقلّهم إلى النوم الطويل السرمدي. هنا كانوا يركضون بأقصى ما يستطيعون خلف "المنشآت" و "الريمات" مع علمهم أنها تقلّهم إلى الحتوف المباغتة.. وسرعان ما يعودون اليها من جانب الجسر السريع, وهم ممددون على ظهورهم, وقد همد كلُّ شيء فيهم، تقطر توابيتهم دماً كان يمكن ألا يسيلُ, لو لم تكن النهضة. يمرون عليها مرور الكرام بعد أن أعطوا كلَّ شيء, ولم يحوزوا غير عَلَمٍ "يُفترض" أنهم ماتوا من أجله.." (كيوش، مصقولة بطعم الحنظل، ٢٠٢١) في قصة النهضة واقع مؤلم, بل هي أشد القصص ألماً لواقعها المرير, ألا وهو قتل الشباب, وأن اختيار النهضة عنواناً للقصة؛ ليبين الكاتب الفئة التي يُقتل شبّانها, فكراج النهضة في بغداد, هو كراج وسط وجنوب العراق, منه يذهب الراكبون المنتسبون في القوات الأمنية العراقية, القادمون من الجنوب الى وحداتهم العسكرية, مع علمهم في أيةِ لحظة يودعون الحياة, ويعودون الى ديارهم ممدين على ظهورهم, أي يعودون قتلى, بعد أن أعطوا كل شيء, لم يحوزوا على شيء غير العلم العراقي, نعم فبعد أن يعطي المقاتل أغلى ما عنده الى بلده, فأنه يكافئ بعلم من الحكومة, وهلاهل البنادق في تشييعه من المجتمع, هكذا تتم مكافئة من ضحوا بأنفسهم في بلدي, في هذا المكان يفترش الشبّان الأرض لأنَّ السياسيين تغافلوا, أو ربما أنهم لا يفقهون البناء والاعمار, موحشة

ككهف بدائيٍّ, نائيةٌ كأنّها على بُعد سنينٍ ضوئية من المدنية, مغبرّة كأنها تنهض من زلزال وقع للتو.. كذلك يذكر بائعات الجاي الجميلات, ففي كل البلدان الجميلات بين السفر والتنزه والرفاهية الا في بلدي, فجميلاته على أرصفة الشوارع مكلفة بمهمة هي من واجب الرجال, فكيف بمن فقدت زوجها بحرب أو بغيره, ولا يتقاضون حقوقاً. "من النهضة يستقلون السيارات لإدراك ثأر, أو يعودون اليها وقد أنجزوا تدابير قتل مباغتٍ" (كيوش، مصقولة بطعم الحنظل، ٢٠٢١) دليلاً على ضعف القانون, وعدم استطاعة الدولة حماية المجتمع.

تطرق الكاتب الى قضية اخلاقية واقعية مهمة, وهي النشالة في النهضة الذين يسرقون الأموال من المسافرين, بعد استخدام مهاراتهم في السرقة, فأنهم يحملون الحقائبَ, ويضعون العطر الذي يضعه المسافرون؛ ليوهموا ضحاياهم بأنهم مسافرون, الحروب التي راح ضحيتها الشباب قرّرها سياسيون لم يروا النهضة, ولم يأكلوا من أطعمتها الفاسدة. هكذا هي النهضة لا بناء ولا اعمار, فيها يتميز النشالة بمهاراتهم, وفيها الطعام الفاسد, وفيها الروائح الكريهة, تتميز بالظلام والخراب, وهكذا همو الجنوب, شبابه يُقتلون, وجميلاته بائعات للشاي, مُسافريه يُسرقون, بعضهم يذهب ليِقتل, وهكذا هم السياسيون, بارعون في الفشل, يصنعون الحروب, وهم بعيدون عنها, يشعلون نيران الحرب ويجعلون وقودها الشروكية.

قصة موت الأب: بعد موت السيّد عگلة النوري، المعزّب الكبير صاحب الشارة والبخت, في احدى المستشفيات في بغداد، حدثت ضجة لا سابق لها بين الممرضين والأطباء المسيحين ، بكاء وصراخ وشك الزيج للگاع، وبعدها هرعت قبيلة السودان في بغداد برمتها، وأُقيمت له فواتح متعددة، أكثر المتأثرين بموت السيد هو ابنه سيّد محمد، جلس قرب التابوت فوق قمارة السيارة, وبعد انطلاق السيارة، وقعت الهوسة (شلون تغمض يا ستر الديرة)، بقي الابن يواجه الحياة بما فيها مواجهة صريحة, إنَّ القادم لن يشبه الماضي، ستتصدره المسؤوليات، موت الأب يعني أنَّ الابن فارق السعادة" (كيوش، مصقولة بطعم الحنظل، ٢٠٢١)

يتصدر في هذه القصة واقع مواجهة الابن لرحلته في الحياة بعد وفاة الأب, فكيف إذا كان الأب من الواجهات الاجتماعية في المجتمع, الابن الأكبر, وخاصة في المجتمع الجنوبي, يؤدي دور الأب لأخوته وأخواته, هو الراعي والوالي لهم حتى بوجود الأب, فكيف بعد موته, "السبب الواقف خلف تخصيص الأخ بالولاية، نيابة حتى عن الأب، فقد لا يكترث الأب كثيراً لحال ابنته, لو كانت مُهانة، أو ضعيفة الحال في بيت زوجها وبين أهله، أما الأخ، فأنه يتأثر بالتأكيد، ويتخذ إجراءات رادعة" (ضمد، ٢٠١٧) مهمة الابن بعد وفاة والده هي أن يكون نسخة لوالده بأفعاله, بكلامه, يؤدي ما كان يؤديه والده في حياته, من زيارة المريض وحضوره المناسبات, سواء كانت مناسبة فرح أم حزن, وفي المجتمعات الجنوبية على الولد الأكبر أنْ يتزيا بزي والده؛ ليؤدي دوره المكلف به. كذلك تأثر شيوخ العشائر على وفاة سليل السادة أكثر من تأثرهم على غيره, حتى أكثر من بعض أقربائهم, أو أحد أفراد عشيرتهم, لأنهم يصفونه بالبخت وستر الديرة, أنَّ من الأمور الاجتماعية في القصة, هي أنَّ السادة في المجتمع الجنوبي لهم خصوصيتهم, وتقديرهم, يُنفذ لهم ما يريدون, فعند حضورهم في الفصول العشائرية تكون للسادة الحصة الأكبر من بين كل الحضور, كثيراً ما يقسمون بأجدادهم, ويقصدون الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم)

وأهل البيت (عليهم السلام), كذلك عند حضور السادة في أي مكان, وفي كل المحافل, يكونون في مقدمة الحاضرين, ومنهم يبدأ الكلام, تقديراً لهم, كونهم من سلالة النبي الاكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم), فبعضهم بعد وفاتهم تُشيد لهم القباب, ويأتي الكثيرون لزيارتهم والتبرك بهم, وينذرون لهم النذور.

قص لنا كيوش الكثير من القصص والحكايات الخيالية والواقعية, وهو عبر كلماته يشرك القارئ, ويجعله وكأنه يشاهد أحداثاً قائمة أمامه من بين تلك الحكايات والقصص, اللقاء الأخير للقاص مع طلبته في الدراسات العليا, هي حكاية ممزوجة بنصائح طيبة تقدم بها لطلبته, قصة **الكتابة عن المألوف**" وددتُ أن أقول لكم أحبّتي، بمناسبة انتهاءِ لقاءاتنا: تعمّدوا أن تحبّوا، تعمدوا أن تشيعوا وتشعّوا, وكأنكم شموسٌ صغيرة. كمّلوا وأتمّوا الحقائق بالمحبة، لأنها ستغدو حقائق مجزوءة من دونها, وإن اكتملت لدى غيركم ممن لا يؤمنون بأنَّ صفةَ اللهِ (سبحانه) الأولى هي المحبّةُ، هي اسمه الأعظم. ابحثوا، وعلّموا طلبتكم القادمين البحث عن متعة الوجود الكبرى، ولا تتعاطوا مع الوجودِ بصفة بائسةٍ واحدةٍ هي أنّكم فيه مصادفةً فقط، فبمستطاعتكم أن تجعلوا العالمَ أجمل في عيون من سيتحلقون حولكم، وتيقنوا أن ما خفي من الجمال أعظم دائماً.." (كيوش، نون الجنوب الساكنة، ٢٠٢٢) ففي وقت مُلئَ بالحقد والكراهية، يتعمد الأستاذ توجيه طلبته, وحثهم نحو الحب والخير، يحثهم لأنهم سيصنعون أجيالاً بعده, علموا من حولكم, أنه لا يئس في الحياة, اجعلوا العالم جميل, بل أجمل, لأنه كلما ظهر جمال لكم هنالك جمالٌ أعظم يختبئ.

ينتظر, من يبحث عنه بإصرار أكثر وشوق أكبر, تعمد الأستاذ أن يؤخر نصيحته هذه لآخر لقاء بينه وبين طلبته, لأنه في اللقاءات الأخيرة تبقى الكلمات عالقة، القى عليهم هذه الكلمات, لأنه لم يرَ في الواقع منها شيئاً، تعلموا أن تحبوا وتشعّوا لأنه رأى الظلام والكره متسيّداً، يأخذ بأيديهم إلى العالم الأجمل, لأنه يرى الكثير ممن يأخذون بأيدي الناس إلى العالم البائس.

المبحث الثاني الأنثروبولوجيا:

التحليل القصصي

قصة أم ساعة : أم ساعة وهي أحدى مناطق ميسان جنوب العراق، الناس فيها لا يرتدون غير الدشاديش ولا يعرفون، الملابس الداخليّة. أناسٌ بسطاء. لغتهم بسيطة، ولا يمدون فيها حروف العلة. يقسمون بالعباس كي يصدق أحدهم الآخر، كذلك من العيب أن يطلّ الرجلُ على الناسِ حاسرَ الرأس. (كيوش، مرادي المعيل، ٢٠١٨)

في كل أنحاء العالم, وفي كل دولة هنالك زي خاص يلاؤم طبيعة المجتمع وثقافته، ومناخه، يختلف من مكان إلى آخر، وأحياناً يختلف في البلد الواحد، فمثلاً يختلف زي جنوب العراق عن زي شماله. لذا تُعد الدشداشة

الزي الجنوبي الرسمي، ولأسباب متعددة، منها بيئية، ومناخية، وبعضها تقليدية.. إلى آخره من الأسباب، يلتزم بذلك الزي كبار السن، وبدرجات متفاوتة بين الشباب، وبنسبة قليلة عند الأطفال، إضافة إلى أنه لكل لون دلالة، فعند لبسهم اللون الأسود, فهذه دلالة على الحزن، وإنَّ المناسبة غالباً ما تكون مناسبة وفاة أحد المقربين عندهم، أما اللون الأبيض, فيشير إلى الفرح والسعادة، وعادة ما يلبسونه في مناسبات الفرح، وهي الأعياد والزواج وغيرها. أضافة إلى لبسهم للدشداشة يضعون الجماغ وفوقه العقال، كانت سابقاً يلبسها الرجال في مرحلة عمرية معينة, وهي مرحلة ما بعد الشباب–إلا أنه في الوقت الحالي أصبح هذا الزي للتزين عند الكثير من الشباب– وهي أمر ضروري خصوصاً إذا كان الرجل كبيراً لأخوته, ويحتّم على الولد الأكبر الالتزام به بعد وفاة والده.

ربما يعود السبب في انتشار هذا النوع من اللبس، إلى سبب مناخي؛ لأنَّ مناطق جنوب العراق تمتاز بدرجات حرارة عالية وموسم صيفي يغلب على كل المواسم من الجانب الزمني، وكما يتميز الجنوب أيضاً بالبيئة الصحراوية الجافة.

أما فيما يخص لهجتهم, فهي بسيطة، غير متكلفة، ذات لحن مميز، و تختلف لهجة المجتمع الجنوبي وخصوصاً المجتمع الميساني عن كل اللهجات العراقية؛ حيث يستخدمون الكسرة في كلماتهم كثيراً نحو (بِيت ويقصدون المنزل و جِينا أي جئنا و لِيش أي لماذا... وغيرها الكثير, إضافةً إلى أنهم يضيفون بعض المقاطع إلى الكلمات مثل مقطع چي نحو (مهربجي أي مهرب الممنوعات وكولجي أي حارس المرمى.. وغيرها، كذلك أقلابهم لبعض الحروف وخصوصاً القاف والجيم والغين نحو (غاسم أي قاسم, ويبار أي جبار, وقالب أي غالب.. إلى آخره. وهي تختلف من مكان إلى آخر.

كذلك استخدامهم لقسم العباس, فلا يمكن تصديق المتكلم عندهم, إذا لم يردف كلامه بالعباس, وإذا تكلم الشخص ونسي القسم ينبه المستمع ب(آه), فيعود المتكلم ويقسم له بالعباس تأكيداً لكلامه السابق حتى يطمئنوا بصدق كلامه.

قصة صرّة فطيّم: فطيم تلك البنت الجنوبية المدللة، شديدة التعلق بوالدتها, التي تغرق شعر ابنتها بالنفط وتسرف في تمشيطه بمشطٍ من خشب البلوط، لكن سرعان ما فرَّق القدر بينها وبين والدتها، فقد فارقت والدتها الحياة، مرَّ زمان طويل وكبرت فطيم وبقيت على حظها السيئ؛ لعدم زواجها، رغم ما مرَّ من وقت طويل, بدا حزنها على أمّها سرمدياً. ذات يوم قرر أشقاؤها الارتحال إلى بغداد؛ بسبب شحة المياه في ميسان، وبقيت فطيم تطلق الآهات والحسرات على ما فاتها, فهي تريد أنْ تكون كبقية الفتيات بين أحضان رجل يحتويها، ولعدم تحقق ما تمنته قررت الهروب الى جهة غير معلومة، بعد تلك الحادثة نكسوا أخوتها عُقُلهم واكتفوا بيشماغهم وأحكموا لفها على وجوههم، بقوا سنة كاملة, وهم يجتمعون كل ليلة مع أبناء عمومتهم يتشاورون على ما توصلوا إليه, ولم يختلفوا على قضية, وهي افراغ المسدس برأسها, كل من يجدها وفي أي مكان وزمان. (كيوش، مرادي المعيل، ٢٠١٨)

لقلة الإمكانات وصعوبة الوصول الى السوق, كان الكثير من أهل الجنوب يكتفون بما يتوفر لديهم, سواء كانت أدوات منزلية, فيكتفون بصنعها من الطين, و القصب, والبردي, وسعف النخيل.. وغيرها, أو استخدامهم لبعض المواد المتوفرة لديهم بديلاً عن العلاج, حيث يستخدمون السكر لجرح الرأس, والرماد لتنظيف الأسنان.. الخ, تستخدم أم فطيم النفط كمسرح ومقوي ومعالج للشعر, وهو البديل الأفضل في ذلك الزمان.

تحمل القصة أكثر من مضمون, وبسبب تعدد الأحداث في القصة, ينتقل الباحث الى ثقافة أخرى, ما زالت موجودة الى يومنا هذا, وهي إنَّه من بين الأمور المتعارف عليها في بيئة جنوب العراق، هي إذا هربت البنت (تترك بيت أهلها أو زوجها وتذهب لجهة مجهولة), وأسباب الهروب متعددة وكثيرة منها,(اجتماعية أو نفسية.. إلى آخره. حيث يُعد هروب الفتاة من بيت أسرتها خطأ مشترك بين الفتاة والأسرة, تتحمل فيه العائلة جانبا كبيرا من المسؤولية، ذلك أنَّ طريقة التربية والمتابعة للبنات والتعامل معهن بطريقة فظة وغليظة من شأنها أن تضاعف الضغوط عليهن, وتدفعهن إلى ارتكاب فعل غير مقبول اجتماعياً, مثل الهروب من المنزل. ربما يكون الهروب مع عشيقها، أو أي شخص آخر، أو الهروب لوحدها لجهة مجهولة، بسبب ما تلاقيه من ظلم وحيف يقع على عاتقها من معاملة سيئة أو بسبب حجم الأعمال المناطة بها، حيث كانت المرأة الجنوبية وخصوصاً التي تسكن الأهوار, تؤدي أعمالاً تفوق حجمها, وطاقتها، كون تلك العوائل من مربي الحيوانات وفي الغالب الجاموس، كذلك تؤدي عمل قطع القصب وبيعه، وصيد الأسماك والطيور, لبيع جزء منه وإطعام العائلة بما تبقى، إضافة إلى ذلك كله تُعامل المرأة أحياناً بالمعاملة السيئة, في ثقافة جنوب العراق "هنالك الكثير مما يؤدي إلى انكسار المرأة وتحجيم دورها في الحياة، والتقليل من حضورها الاجتماعي، عبر دفعها للانزواء في بيت الحريم، حيث يُحرَّم عليها ممارسة كل ما شأنه إعلاء منزلتها" (ضمد، ٢٠١٧) فتضطر بعض النساء إلى الهروب، فهي بهروبها تُريد التخلص من ذلك القدر، فينكس أخوتها وأبناء عمومتها عُقُلهم ويخفون وجوههم؛ بعد تلك الفجيعة التي حلَّت بهم، ويبتعدون عن المجتمع، ويتركون أعمالهم، ويبقون على عمل واحد, وهو البحث عن أبنتهم، ليس لاسترجاعها، بل لقتلها وغسل عارها، ثم يعودون بعد قتلها, يضعون العُقُل على رؤوسهم, وكأنهم أدركوا ثأرهم، واسترجعوا حقهم المغتصب.

قصة يحدث في جادر النسوان: يتحدث لنا الكاتب في قصته هذه عن بعض العادات والتقاليد التي يقوم بها النساء الجنوبيات في الفواتح.

لكل طائفة أو قومية أو بلد معين، تقاليد خاصة في وداع الميت أو طريقة عزائه والبكاء عليه، وتختلف طريقة العزاء عند الرجال مقارنةً بالنساء، فمثلا عند النساء, تدخل المرأة لدار أهل الميت وتعزيهم بالمصاب الأليم، والتي (تلاجي)، أي التي تقوم بملاقاة بنات أو زوجة أو أم الميت، ودائماً تأتي المرأة ومعها (رأس مشد) وهو مستهل لهوسة معينة كانت قد حضرته مسبقاً، والهوسة عبارة عن بيت صغير من الشعر يحمل مضموناً معيناً مثل, "شبّان يردون الهوه والموت ما خلّاهم" (كيوش، نون الجنوب الساكنة، ٢٠٢٢) أما فيما يخص بنات أو أخوات أو زوجة أو أم الميت، ويطلق عليهن (أهل العَزَة) أي صاحبات المصاب، وغالباً ما يستقبلن من يدخلن من (الملاجيات),

فهؤلاء النسوة مميزات عن بقية النساء في العزاء؛ لأنهنَّ لم يكتفين بالبكاء والصراخ بل "كرينَ بأظافرهنّ أخاديد غائرة تشبه مروز الشلب في لحم خدودهن" (كيوش، نون الجنوب الساكنة، ٢٠٢٢)

أيضاً هنالك نوع آخر من المعزيات، وهي امرأة امتهنت الشعر ونظمه وترتيبه، وتمتاز بسرعة البديهة, وبحلاوة اللسان, وعذوبة الصوت، ويطلق عليها (الگوالة) أو (الملاية)، وغالباً ما تأخذ المستهل من التي (تلاگي) وتنشأ على ضوئه أبيات ثانية، وتدمج فيه اسم الميت وصفاته وأخلاقِهِ. للعزاء طريقة واحدة عند النساء، لم تتغير ولم تختلف منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا، حيث تدخل التي (تلاجي), وتبدأ بترديد الشعر مع ضرب الصدر أو الزنود حد الاحمرار أحياناً، وتقوم نساء المجلس باستقبال تلك المرأة باللطم أيضاً, الى أن يصل بهن الحال حد الاغماء "ثم ترتعد لاطمةً بصلابة قد لا يحتملها جسدها الهشّ أو عمرها المناهز للرحيل، فيُغمى عليها بصدق أو (بعيارة) تعرف الشروگيات التمييز بينهما بسهولة. ومع أن الإغماء قد يكون (عيارة) إلا أنه يُعامل بتبجيل دائماً." (كيوش، نون الجنوب الساكنة، ٢٠٢٢)

أما عند الرجال فيتم نصب خيمة كبيرة للعزاء (جادر) يتم فيه استقبال المعزين، ويتم وضع العلم الخاص بالعشيرة يسمى (بيرغ العشيرة) في بداية الجادر لو كان المتوفي رجل، يبقى العزاء حتى اليوم الثالث وهو، ما يسمى بـ(يوم الختمة)، يتم فيها قراءة بضعة آيات من القرءان الكريم وتهدى مع ثواب الفاتحة لروح الميت، مع وليمة كبيرة طبعاً، وتختلف هذه الوليمة عن الوليمة الاصغر منها والتي تسمى بـ (اليوم السابع).

يذكر لنا الكاتب في قصةً أخرى بعض عادات الرجال في فواتح الجنوب وهي قصة كتبها ونشرها على حسابه في الفيس بوك.

يُدار مجلس العزاء من قبل أحد أقرباء المتوفي، شرط أن يكون كبير بالعمر، ويرتدي الزي العربي، يشرف على تشييد الجادر، وإعداد الطبخ، كذلك دعوة الناس للوليمة المُعدة، وغالباً ما تكون في اليوم الثالث بعد الوفاة، غالباً ما تأتي العراضات إلى الفواتح, إذا كان المتوفي رجلاً، والعراضة هم مجموعة رجال ينطقون بمقطوعة شعرية موزونه، ينطقونها بصوت عال، وموحد، يتقدمهم شخص أو عدة أشخاص يحملون بيارق مكتوب عليها أسم تلك العشيرة القادمة، وأحياناً يطلقون النار مع الهوسة عند الالتقاء بين القادمين، وأهل العزاء المستقبلين لهم نظرَ الجميعُ إلى جهةٍ واحدةٍ، تركوا ما انشغلوا به من عملٍ وساروا بخطى سريعةٍ نحو بدايةِ الزقاقِ، سمعتُ الذي كان يرشُّ الماءَ يصيحُ وصل أهل العمارة. تلا جملتَه صوتُ ثغيبٍ بعيدٍ يا يابه يا بويه، يا محمّد يا خويه. سرتُ باتجاهِ الثغيبِ فرأيتُ رجالًا بأعمارٍ مختلفةٍ ينزلون من سيّارةٍ كيّة، يتقدّمهم رجلٌ نحيفٌ جدًا وقصيرٌ. قالَ له الذي يدسُّ دفترًا في جيبِ الورچ وهو الشخص الذي يُدير العزاء والمسؤول عنه، وهو يحتضنه. بسّك ثواب لامّك. طيّنَ ثلاثةُ شبّان منهم رؤوسَهم.

ضجّةٌ عاليةٌ في نهايةِ الزقاقِ أخذتْ تدنو من الچادر، أعقبها إطلاقُ نارٍ. خرجَ كلُّ مَن في الچادر. امتدتْ يدُ شابٍّ طويلٍ لتفكَّ أسرَ البيرقِ. استلّه ببراعةٍ واتّجهَ به نحو العراضةِ التي قطعتْ الزقاقَ وهي تزمجر. يا عيني

ابچي عليه المات على الحدّ. صرخَ أحدهم الوايرات الوايرات، فقد سحبت الدنبوگةُ أسلاكَ كهرباء لا تعلو كثيرًا عن الرؤوسِ وقطّعتها, وصاحَ آخر، تيب تيب، الوايرات تنتل. وضاعَ نداءٌ بدا هشًّا تافهًا أمامَ لعلعةِ الرصاصِ. لحّد يرمي لحّد يرمي, في الوقتِ الذي أطلّتْ رؤوسٌ كثيرةٌ عبرَ ستاراتِ البيوتِ القريبةِ، وامتدت موبايلات لتوثّق الحدثَ. وتبارى أطفالٌ صغارٌ عند أقدامِ المهوسچيّة في جمعِ بوش الإطلاقات الناريّة وتعاركوا. (كيوش، بغداد، ٢٠١٨)

تختلف مناطق جنوب العراق اختلافاً جذرياً عن بقية المناطق، بتقاليدها، وأعرافها، وثقافة أبنائها، من بين هذّه الاختلافات قضية (الدكة العشائرية) و(أخذ الثأر) كذلك (المطلوب عشائرياً), هذه الأمور وغيرها تطرّق اليها الكاتب في قصتهِ.

بوية العشيرة السوداء: في وضحِ النهارِ يأتي مَن يكتفي بسترِ عورتِه فقط، يقتربُ من جدارٍ أو بابٍ. وبهدوء، يكتبُ بخطٍّ سيئٍ عادةً وإملاءٍ أسوأ "مطلوبٌ عشائريًّا.. لا يُباع ولا يُؤجّر"، آمنًا مطمئنًا أن ليس ثمةَ مَن يعترضُ ما دام الأمرُ "عشائريًّا". يكتبُ وهو متيقّنٌ أن لا قوةً يمكنُ أن تمسَّ جملتَه بسوءٍ، وأنها وُجدتْ لتبقى، وليقرأها الجميعُ.

سأكتبُها بعدَ أن تكلَّ يدي من الطرقِ على بابِ القضاءِ، وبعدَ اليأسِ من جدوى القانون. سأكتبُها حينَ أصلُ إلى اليقينِ بأنّ خصومتي مع القائمين على استردادِ الحقِّ أقسى من خصومتي مع مَن لا يفهمُ الحقَّ أو لا يحترمه من عامّةِ الناسِ. ما زال القضاءُ، والدينُ، والسياسةُ، والتربيةُ، والإعلامُ، والثقافةُ، يكتبُ بحبرٍ سرّيّ لا يكاد يُرى، والعشيرةُ تكتبُ بالبويةِ السوداء. (كيوش، نون الجنوب الساكنة، ٢٠٢٢)

لا تغيب ظواهر العشيرة عن حياة العراقيين عامة, والجنوبيين خاصة، فحيثما تسير تجد عبارة "مطلوب عشائريا" على أحد المنازل، أو دوي أصوات المواجهات المسلحة في محافظات الجنوب التي باتت مشهداً دوريا تستخدم فيها حتى الأسلحة الثقيلة. بعض الحالات تحدث بسبب خلاف بسيط يحصل أثناء الواجب الوظيفة، لكنه يصل إلى مرحلة لا تحمد عقباها تبدأ بالتهديد, وربما تنتهي بالقتل أو حرق البيت وتشريد أهله. إنَّ السبب هو ضعف الرادع القانوني بالأساس، وثانياً لتولي المشيخة أناس ليسوا أهلاً لها. الطابع العشائري في البلاد لا يخضع للقوانين أو الأخلاقيات الدينية وحتى وصايا المراجع ورجال الدين رغم الدعوات العديدة لذلك. بل أنه يخضع للعرف العشائري فقط و قوة العشيرة. وهذا يعقّد قدرة الحكومة على ردع هذه الظاهرة التي أخذت تنتشر وتتفشى. إنَّ الكثير من هذه الحالات فيها ابتزاز مالي أو استهداف طائفي. لم تقتصر هذه القضية على محافظات الجنوب بل امتدّت إلى عدة مناطق من البلاد، وحتى العاصمة بغداد "مطلوب عشائرياً" أو "مطلوب دم"، عبارة باللون الأسود تجدها مكتوبة على الكثير من المنازل في شوارع بغداد، وباقي المحافظات العراقية. عبارة مرعبة حيثما تُكتب يحلّ الخوف، فهي تعني أن هذا المنزل لا يباع ولا يشترى، وأن من يسكن فيه يعرض نفسه للمساءلة بالهجوم المسلّح أو المقاضاة وفق العرف العشائري، الذي لا تعلو على سلطته سلطة في العراق، بسبب التقصير الحكومي الواضح،

وضعف القانون، وأيضاً المجاملات الواضحة من قبل الحكومة لبعض شيوخ العشائر، كون السلطة الحاكمة تتخذ من بعض الشيوخ, خصوصاً في الانتخابات, وسائل تثقيفية أمام أبناء العشيرة، وأحياناً هم الشيوخ أو أبنائهم في مكانة عالية في السلطة، وأصحاب قرار، وتجد أبناء تلك العشيرة، يأخذون الحرية التامة في تجاوز القانون وتهديد السلم الأهلي. "مطلوب عشائرياً، وفي بعض الأحيان تضاف إليها عبارة "لا يُباع". هذه الكلمات الأربع كفيلة بمنع بيع أو شراء أو استئجار أي عقار خُطّت على جدرانه. كُتبت هاتان الجملتان على عدد من البيوت والمحال التجارية في العراق، وهما تشيران إلى "تورط" صاحب العقار أو أحد أفراد عائلته بمشكلة عشائرية، قتل أو قضية "شرف" أو ربما أسباب أخرى غير معروفة. ولا تعني كتابة "مطلوب عشائرياً" على منزل أو عقار أن صاحبه بالضرورة تسبب بمشكلة ما أو ألحق ضرراً بآخرين، فهناك حالات "ظُلِم" فيها أشخاص ليس لديهم أي ذنب. ظاهرة الكتابة على جدران أو أبواب العقارات ليست جديدة في العراق، فهي من ضمن عادات المجتمع العراقي وتقاليده منذ سنوات طويلة." (سعدون، ٢٠١٨) رغم اختلاف الجنوب عن بقية المناطق في عاداتهم، وتقاليدهم، التي ذكرناها والتي يغلب عليها الواقع المؤلم والمرير، إلا أنه يبقى مميزاً في كثير من العادات الطيبة التي تستحق الفخر والإشادة، فهم أهلاً للترحيب في الضيف، حيث يمتازون بالكرم الكبير، وهذه الصفة ليست بالجديدة عليهم, بل هي صفةً تلازمهم منذ وجودهم وحتى يومنا هذا، كذلك يمتازون بالغيرة، والشجاعة، وطيبة نفوسهم.

ذكرَ لنا الكاتب في روايته "**عركشينة السيد**" بعض من هذه الصفات، عندما اضطرّ إلى الذهاب إلى مدينة العمارة من أجل مراجعة دائرة النفوس والتقى بالسيد هاني الناجي صدفة، ودون اتفاق مسبق, أو لقاء متفق عليه، أخذ السيد ضيفه إلى بيته "طرق باب بيته بقوة، سمعت صوتاً نسائياً حاداً يصيح ياهو هذا؟ علوية فكي الباب.. وياي خطّار. فردت بتحبب واضح، كل الهله بالخطّار (سلمان كيوش، ٢٠٢١)

كان الترحيب من أهل الدار ترحيباً مميزاً دون السؤال عن الخطار من أي وجهة وبأي طريقة جاء "تحرجني عزوبيّة الفقراء، فالمهم جداً هو رضا الخطّار. بعد سماعي لصتيتة مطاردة الديك الوحيد بين دجاجات العلوية، صحت بصوت عال سيد هاني، آنّه ميت من الجوع أرجوك أريد الموجود" (كيوش، بغداد، ٢٠٢١)

رغم الفقر الذي يحيط بهم إلا أنهم يستأنسون بمجيء الضيف, ويجدون المتعة في خدمته, ويبذلون جهداً من أجل راحته, ويعاملونه وكأنه أحد أفراد العائلة, أو أحد أقربائهم, فالكرم لديهم ميزة متأصِّلة بهم, وليست صفة مكتسبة, أو أنهم تعلموها من غيرهم, حيث يمكن تمييز العراقيين وخصوصاً الجنوبيين، حتى المغتربين منهم بسهولة عبر كرمهم, فأي جملة يمكن أنْ تطمئن النفس أكثر من "هسه ناملك شويّة, والعصر نروح نجيب غراضك من الفندق." (سلمان كيوش، ٢٠٢١) في هذه الراوية العظيمة (عركشينة السيد)، ذات النصوص السحرية الرائعة، التي تأخذ بالقارئ إلى عالم آخر, والذي يجد فيها القارئ نفسه أحد شخوصها؛ لشدة التفاعل معها وكأنه يرى أحداثها أمامه.

يذكر فيها الكاتب بعض صفات الجنوبيين وعاداتهم وتقاليدهم، لكن الحدث الرئيسي فيها هو (الحب)، ربما هم وحدهم من يعلمون معنى الحب ومعنى الجنون بسبب الحب، فالمحبوبة عندهم أرَق وأعذب من كل نساء الارض. "كيف يُتاح لرجل تقبيل حبيبته, ولا يموت بعدها أو يتسودن؟ هذا ما فكّرتُ به, وأنا أكتب أوّل رسائلي لها، آملاً بجزم صوفيّ أن غاية ما يمكن أن يجود به عليّ جسر العمارة هو أن تمسّ أصابعي يدها، أو طرف قميصها، ولو حتى خيط منه." (سلمان كيوش، ٢٠٢١)

حبهم صادق وعذري، يكتفون بمحبوبة واحدة، يحيا المحب من أجلها ويموت لأجلها، ولقدسية هذا الحب يمتنعون عن الإفصاح عنه، يصل بهم الى حد عدم نطق إسم محبوباتهم أمام الناس. فعندما سأل الراوي ذلك العاشق الهائم عن أسم محبوبته أجاب "يحتاج أسمها مراسيم مني لنطقه، أوّلها أن أقف ووجهي يستقبل المكان الذي أفترضُ وجودها فيه الآن، وأن لا أكون مشغولاً بطارئ، وأن أكون على وضوء بماء ورد، وأن يكون مَن يسمعه عاشقاً مثلي ويحبّني جداً، لذا أفضّل دائماً الكناية عنها ب((هي))." (سلمان كيوش، ٢٠٢١)

لكنه غالباً ما تكون نهاية ذلك الحُب نهاية مأساوية مصيرها الفشل؛ لأنَّ الحُب في الجنوب ذنب كبير يدفع المحبين ثمنه، وتكون البنت فيه الخاسر الأكبر لأنها تُجبر على الزواج من أقرب شخص يتقدم لها أو إجبارها على أحد أقربائها بغض النظر عن الفارق العمري بينهما أو المستوى الثقافي، أو المادي، ولم يكن لها رأي مغاير في ذلك القرار؛ لأنه في حالة الرفض ستُعاقب بأشد العقوبات، وربما يصل الأمر إلى تعذيبها، وحتى قتلها، أما الرجل, فيبقى هائماً مشرداً، وبعضهم يصل الى حد الجنون، وبعضهم ينهي حياته بالانتحار, لأنه لم يتخيل أنْ يكمل بقية حياته, وهو بعيد عن محبوبته. "حميّد طفلٌ رضيعٌ. أُجبرت عفرة، أمُّه على الزواج من رجلٍ نصف مجنونٍ بعد شيوع حكاية عشقها لجليّل الدوّاش. بذلت عفرة جهوداً جبّارةً كي تنسى جليّل غير أنها لم تفلح." (كيوش، مرادي المعيل، ٢٠١٨)

لم يهتم الأهل بالنتائج الكارثية، التي ستصل اليها الأمور، الهم الأول والأكبر، بل الهم الوحيد، هو إبعاد تلك البنت العاشقة عن معشوقها، بأي طريقة كانت. يضحون بابنتهم، ويدفعونها الى المجهول في أقرب فرصة متاحة.

هنالك الكثير من النصوص الأدبية في قصص وروايات الكاتب سلمان كيوش التي يمكن عبرها دراسة المجتمع الجنوبي دراسة أنثروبولوجية، لكن اكتفى الباحث بأهم النصوص التي تنقل الكثير من مميزات وعادات وتقاليد ذلك المجتمع، نصوص ذات لغة سلسة وجودة عالية في السرد، حيث تم اختيار أبرز القصص الجنوبية البحتة، وسبب تفرد الكاتب بجمال كتاباته, هو لغته وسرديته الأدبية التي تساوت فيها الفصحى مع العامية، وهذه النصوص رغم قلة صفحاتها قدمت محتوى هائل وممتع من الأعراف الجنوبية وطبيعة مجتمعه.

الخاتمة

بعد أن منَّ الله عليَّ بالتوفيق والعون، بإتمام هذا الجهد المتواضع وهو الواقعي والانثربولوجي

في قصص سلمان كيوش ومروياته، توصلتُ الى نتائج منها:

١. تأكيد أثر السرد بوصفه وثيقة تاريخية وثقافية: أثبتت الدراسة أنَّ السرد في أعمال سلمان كيوش ليس مجرد وسيلة فنية لنقل القصص، بل هو أيضًا وثيقة تحمل في طياتها تجارب المجتمعات، مما يعزز فهمنا للواقع في ضوء النصوص الأدبية.

٢. إظهار القيمة الأدبية والتوثيقية لنصوص كيوش: أكدت الدراسة أن نصوص كيوش تتمتع بقيمة أدبية عالية بالإضافة إلى قيمتها التوثيقية، حيث تمكن الكاتب من دمج الفن السردي مع التوثيق الواقعي بمهارة، مما جعل أعماله مرجعًا ثقافيًا مهمًا.

٣. تحليل الشخصيات والمواقف بوصفها وثائق: أظهرت الدراسة أن الشخصيات والمواقف في سرد كيوش يمكن عدّها وثائق تعكس الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للمجتمع، حيث تم تحليلها بشكل يعزز الفهم النقدي لأبعادها الوثائقية.

٤. إبراز أهمية السرد في الحفاظ على الذاكرة الجماعية: توصلت الدراسة إلى أن السرد في أعمال كيوش يؤدي أثراً مهمًا في الحفاظ على الذاكرة الجماعية، عبر توثيق الأحداث والتجارب التي تمثل جزءًا من هوية المجتمع وتاريخه.

المصادر

سلمان كيوش (المجلد ط٣). (٢٠٢١). بغداد: دار قناديل.

عباس خضر. (١٩٦٧). *الواقعية في الأدب*. بغداد: دار الجمهورية.

السيد نبيل الحسني. (١٩٦٥). *النثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية* (المجلد ط١). كربلاء المقدسة.

د. عز الدين دياب. (٢٠١٠). *التحليل الأنثروبولوجي للأدب العربي*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

د. غنيمي هلال. (١٩٠٠). *النقد الأدبي الحديث* (المجلد ط١). دار العودة.

سعدون محسن ضمد. (٢٠١٧). *النحت على صخرة الموت* (المجلد ط١). بغداد: دار سطور.

سلمان كيوش. (٢٠١٨). *بغداد*. الفيس بوك.

سلمان كيوش. (٢٠١٨). *مرادي المعيل* (المجلد ط٢). بغداد: دار قناديل.

سلمان كيوش. (٢٠٢١). *بغداد* (المجلد ط٣). دار قناديل.

سلمان كيوش. (٢٠٢١). *مصقولة بطعم الحنظل* (المجلد ط٢). بغداد: دار قناديل.

سلمان كيوش. (٢٠٢٢). *نون الجنوب الساكنة* (المجلد ط١). بغداد: دار قناديل.

عيسى الشماس. (٢٠٠٤). *مدخل الى علم الانسان (الانثروبولوجيا)*. دمشق: اتحاد كتاب العرب.

مصطفى سعدون. (٢٠١٨). مجلة رصيف.